((دراسة الإسلام في أمريكا الشمالية))

لقد طُلِب منِّى التَّحدُّثُ إليكم هذا الصَّباحَ عن الدِّراسةِ الأكاديميَّةِ للإسلامِ بالولاياتِ المتحدة وكندا، وسوف أستغلُّ خبرتي كطالبةٍ وأستاذةٍ لأُقَدِّمَ هذا الموضوعَ.

لقد حصلتُ على درجةِ الدكتوراه في الدِّراساتِ الإسلاميَّةِ من جامعةِ (تورنتو)، وهى أكبرُ جامعةٍ عامَّةٍ للبحوثِ بكندا، وكان أوَّلُ منصبٍ تعليميٍّ لي في جامعةٍ بحثيَّةٍ أخرى، وهي جامعة (إيموري) بجنوبِ الولايات المتحدة، حيثُ تمَّ تعييني بكليةِ اللاهوت، أي: بكليةٍ تدرسُ العقيدةَ المسيحيَّةَ وعِلْمَ اللاهوت، وكان تعييني أيضًا بقسمِ الدِّراساتِ العُلْيَا لدراسةِ الدِّين؛ وذلك لأنَّ جامعةَ إيموري - شأنها في ذلك شأن جامعاتٍ أخرى- لَدَيْها طريقتان لدراسةِ التُّراثِ الدِّيني المتنوِّعِ .

وبعدَ مرورِ عدَّةِ أعوامٍ في جامعةِ (إيموري)، دُعيتُ للعودةِ إلى جامعةِ (تورنتو) لإعادةِ تنظيمِ الدِّراساتِ العُلْيَا الدِّينيَّة هناك. وقد اشتمل عملي على إنشاءِ وحدةٍ جديدةٍ بالجامعةِ تُسمَّى: (مركزَ دراسةِ الدِّينِ). وكان المركزُ يضمُّ كلياتٍ من تخصصاتٍ عديدةٍ بالجامعةِ من قسمِ التَّاريخِ، وقسمِ دراسةِ عِلْمِ الإنسانِ، وقسمِ حضاراتِ الشَّرقِ الأوسطِ والأدنى، وقسمِ العلومِ السِّياسيَّةِ، وغيرِها من الأقسامِ. وكان يمكنُ لطلابِ الدُّكتوراه دراسةُ تراثِ الأديانِ المتعدِّدة؛ مثلَ: الإسلامِ والمسيحيَّةِ واليهوديَّةِ والهندوسيَّةِ والبُوذيَّةِ والأديان الصينيَّة واليابانيَّة، كما كان يمكنهم إتمامُ دراستِهم من اتجاهاتٍ متنوِّعةٍ، فكان يُسمحُ لهم بدراسةٍ نصيَّة ودراسةٍ أنثروبولوجية ودراسةٍ تاريخيَّة. وبسببِ خبرتي الأكاديميَّة في الدراساتِ الإسلاميَّةِ، تَمَّ تعييني أيضًا بقسمِ حضاراتِ الشَّرق الأوسط والأدنى، حيثُ كان زميلي المشاركُ ((سيبستيان جانثر)) (Sebastian Guenther) يعملُ أستاذًا منذُ أعوامٍ عديدةٍ.

وقد أصبحتُ بعد ذلك عميدةً لكليةِ (جورج تاون)، أي: عميدةً للآدابِ والعلومِ بجامعةِ جورج تاون، وأصبحتُ مرةً أخرى قادرةً على أن أضعَ بعضَ البرامجِ الجديدةِ لدراسةِ الأديان ولدراسةِ الإسلامِ الذي سأقولُ عنه الكثيرَ في غضونِ دقائقَ معدودةٍ.

مَا هِي الأنواعُ المُخْتَلفة للجامِعَات والكُلِّيات التي تَهْتَمُّ بتدريسِ الإسلامِ؟

أُقدِّمُ هذا الموجزَ المختصرَ عن خِبرتي الأكاديميَّةِ؛ لأنَّها تُوَضِّحُ أنَّ هناك ثلاثةَ أماكنَ أكاديميَّةٍ مختلفةٍ يتمُّ فيها تدريسُ الإسلامِ بالولايات المتحدة وكندا:

المكانُ الأوَّلُ: هو قسمٌ علمانيٌّ بإحدى الجامعات أو- كما هو الحالُ في معظمِ الجامعاتِ البحثيَّة- قسمان؛ حيث يُسمَّى القسمُ الأوَّلُ بقسمِ الدِّين أو قسمِ الدِّراسات الدِّينيَّة، كما هو الحالُ في أماكنَ، مثلَ جامعات شيكاغو، وكولومبيا، ودوك، وماكجيل، وبنسلفانيا. ويُطلَق على القسمِ الآخَر أسماءٌ مثل: قسمِ دراساتِ الشَّرق الأدنى، أو قسمِ حضاراتِ الشَّرق الأوسطِ والأدنى، أو قسمِ حضارات ولغات الشَّرق الأدنى، ومن أمثلةِ ذلك: جامعاتُ هارفارد،وييل، وبرينستون، وكاليفورونيا، ولوس أنجلوس، وشيكاغو، ونيويورك.

وفي هذه الأقسامِ يتمُّ بالطبعِ أيضا دراسةُ موادٍ متعلِّقةٍ بالإسلامِ؛ مثلَ: التَّاريخِ الإسلاميِّ، والسِّياسةِ في العالَمِ الإسلاميِّ، ودراسة أنثروبولوجية للمجتمعاتِ الْمُسْلِمَةِ، ولكنني هنا أتحدَّثُ أساسًا عن دراسةِ الإسلامِ بوصفهِ دينًا. (كدليل مفيد للبرامج الكندية والأمريكية انظر:
https:/www.themaydan.com/2018/10/graduate-programs-islamic-middle-easter-studies-us-canadal).

والمكانُ الثَّاني: الأقلّ شُيوعًا في دراسةِ الإسلامِ؛ هو أيُّ جامعةٍ تقومُ بتدريسِ اللاهوت أو الكلياتِ اللاهوتيَّة، فعادةً ما يكونُ الطلابُ الذين يحصلون على درجةِ الماجستير في اللاهوت متهيئين ليكونوا رُعاةً بالكنائسِ أو قساوسةً في المستقبلِ، وهم يرغبون في دراسةِ الإسلامِ؛ ليتعلموا شيئًا عن المسلمين الذين يعيشونَ في مجتمعاتِهم وأبراشياتهم في أمريكا الشَّماليَّةِ، كما يكون لَدَيْهم رغبةٌ في أن يعرفوا المسلمين في أنحاءٍ أخرى بالعالَمِ. ويوجدُ في بعضِ هذه الكلياتِ - كما في جامعات هارفارد وإيموري- برامجُ دكتوراه شبيهةٌ بتلك البرامجِ بأقسامِ الدِّياناتِ، أو الدِّراسات الدِّينيَّة. (يجبُ ملاحظة أنَّني لم أذكرْ البرامجَ المخصَّصةَ لتشكيلِ قياداتٍ دينيَّةٍ مسلمةٍ، مثل تلك الموجودة بالكليات؛ ككلية الزينونة في بريكلي وكاليفورونيا، والكلية الإسلاميَّة الأمريكيَّة بشيكاغو، وكلية إيلينوس، وبرنامج العبادة الإسلاميَّة بالكلية الإكليريكية بهارفارد، وكونيكتيكت، وكلية إيمانويل بتورنتو، وكلية أونتاريو).

وأخيرًا أودُّ أن أذكرَ مكانًا ثالثًا لدراسةِ الإسلامِ؛ وهو جامعةٌ بحثيَّةٌ ملحقةٌ بالدِّراساتِ الدِّينيَّةِ، هو جامعة جورجتاون؛ وهي جامعةٌ كاثوليكيَّةٌ في واشنطن العاصمة.

وأثناءَ عملي هناك بدأتُ برنامجين جديدين للدُّكتوراه، فمِن خلالِ قسمِ اللغةِ العربيَّةِ أنشأتُ قسمَ الدِّراسات العربيَّةِ والإسلاميَّةِ؛ لكي يكونَ باستطاعةِ (جورجتاون) أن تقدِّمَ برامجَ دكتوراه لا تقتصرُ على الأدبِ العربيِّ واللسانيات العربيَّةِ، بل تضيفُ إليها علومَ الشَّريعةِ والعقيدةِ والأخلاقِ الإسلاميَّةِ إلخ. ومِن خلالِ قسمِ العقيدةِ في (جورجتاون) أسّستُ برنامجًا لدراساتِ التَّنوُّعِ الدِّينيِّ، والتَّفاعُلِ بين الأديانِ. وهذه طريقةٌ جديدةٌ لتأمُّلِ دراسةِ الأديانِ يمكنني أن أسميَها ((الدِّراسات العلائقية)). ويمكنُ الاهتمامُ بالتَّنوُّعِ الدِّينيِّ أن يشملَ علمَ اللاهوت المقارَنِ، أي: دراسةَ عقائدَ ومعاملاتٍ أكثر من تراثٍ دينيٍّ واحدٍ في نفسِ الوقتِ. ويمكنُ أيضًا أن يبحثَ في المغزى التَّاريخيِّ والثَّقافيِّ للتَّواصُلِ بين المجتمعاتِ الدِّينيَّةِ في مراحلَ تاريخيَّةٍ محدَّدةٍ، وربما يمكنُ أيضًا التَّركيزُ على التَّنوُّع والاختلافِ الدِّينيِّ ضمنَ تراثٍ دينيٍّ محدَّدٍ.

كيفَ أصبَحَ الطُّلابُ الأمريكيونَ مهتمينَ بدراسةِ الإسلامِ؟

يتزايدُ الاهتمامُ بدراسةِ الإسلامِ في الكلياتِ والجامعاتِ في أنحاءِ كندا والولايات المتحدة، فقد قامتْ العديدُ من الجامعاتِ بزيادةِ أعدادِ الدَّوراتِ التي يُقَدِّمونها في عديدٍ

من مجالاتِ الدِّراساتِ الإسلاميَّةِ. وعادةً ما يبدأ الطُّلابُ في دراسةِ الإسلامِ في المرحلةِ الجامعيَّةِ، ولكنَّ نسبةً قليلةً من هؤلاءِ يواصلون الدِّراسةَ في مرحلةِ الدِّراساتِ العُلْيَا، كما تتزايدُ أعدادُ الطُّلابِ من أصولٍ مُسْلِمَةٍ في الدَّوراتِ التَّمهيديَّةِ، ولكنَّهم لا يكونون بالضَّرورةِ قد نشأوا في بيوتٍ لآباءٍ متدينين. وعادةً ما يُطلَق على هؤلاءِ الطُّلابِ تسميةُ ((المسلمين بالثَّقافة))، بمعنى أنَّ لَدَيْهم معرفةً بالإسلامِ كجزءٍ من هُويتِهم الشَّخصيَّةِ، إلا إنَّهم لم يَتَلَقَّوا أيَّ تعليمٍ دينيٍّ مُتَعَلِّقٍ بالعقائدِ وممارسةِ الشَّعائرِ الدِّينيَّةِ بالمسجدِ أو البيتِ. أمَّا الطُّلابُ الآخرون من غيرِ المسلمين في المرحلةِ الجامعيَّةِ فيكون لَدَيْهم غالبًا حافزٌ لدراسةِ الإسلامِ بسبب ما يقعُ من الأحداثِ المعاصرة.

فعلى سبيلِ المثالِ، شجَّعت أحداثُ الحادي عشر من سبتمبر المأساويَّة العديدَ مِن الطُّلابِ الأمريكيين والكنديين على معرفةِ المزيدِ عن الإسلامِ والعالَم الإسلاميِّ. وعلى الأرجحِ يبدأ الطُّلابُ من هاتين المجموعتين- المسلمين وغير المسلمين- بدوراتٍ عنوانُها ((مقدِّمة عن الإسلام)) تقدِّمُها أقسامُ الدِّراساتِ الدِّينيَّةِ بجامعاتِهم، أو يبدأون بدورةٍ حولَ ((تاريخ الشَّرق الأوسط الحديث)) تُقَدِّمُها أقسامُ التَّاريخ والعلومِ السِّياسيَّةِ. كما يستمرُّ العديدُ منهم في الحصولِ على دوراتٍ إضافيَّةٍ مثلَ تلك الدَّوراتِ حولَ أنثروبولوجيَّة المجتمعاتِ المسلمةِ، أو حولَ القرآنِ ونصوصٍ دينيَّةٍ أخرى.

تُشَجِّعُ هذه الدَّوراتُ التَّمهيديَّةُ الطُّلابَ على أن يبدأوا في تَعَلُّمِ لغاتِ العالَمِ الإسلاميِّ وخاصَّةً اللُّغةَ العربيَّةَ، وذلك حتَّى يقوموا بتعميقِ اهتمامِهم والتَّهيؤِ للمرحلةِ الجامعيَّة أو مرحلةِ الدِّراساتِ العُلْيَا، إلا أنَّه من المفيدِ لو أنَّهم يستطيعون البَدءَ في تَعَلُّمِ اللُّغةِ العربيَّةِ مبكرًا في المرحلةِ الجامعيَّةِ، وذلك لسببٍ- وأنا على يقينٍ مِن أنَّكم تعلمونه - هو أنَّ هذا الأمرَ يستغرقُ سنواتٍ عديدةً للوصولِ إلى مستوى معقولٍ من التمكُّنِ من قراءةِ اللُّغةِ العربيَّةِ والتَّحدُّثِ بِها.

ويكونُ أوَّلُ قرارٍ يتخذُه هؤلاءِ الطُّلابُ الذين يواصلون الدِّراساتِ العُلْيَا هو ما إذا كانوا سيواصلون دراستَهم بقسمِ الدِّراساتِ الدِّينيَّةِ أو بقسمِ دراسةِ آدابِ ولغاتِ الشَّرقِ الأدنى. وعندما أقومُ بإسداءِ النُّصحِ في هذا الشَّأنِ للطُّلابِ فإنَّني أسألُهم عن نوعيَّةِ الدَّورَةِ التَّمهيديَّة التي يرغبون في تدريسِها عندما يلتحقون بالعملِ بكليةٍ أو جامعةٍ ما. فإذا ما كانوا حاصلين على الدُّكتوراه من قسمِ الدِّراساتِ الدِّينيَّةِ، فعلى الأرجحِ قد حصلوا على دورة ((مُقَدِّمة لدراسة الدِّين))، أو دورةٍ تمهيديَّةٍ حولَ الأديانِ بالعالَم. وعلى الجانبِ الآخَر، إذا كانوا قد حصلوا على الدُّكتوراه من قسمِ دراساتِ الشَّرق الأوسطِ والأدنى، فإنَّهم يقومون هناك بالبَدءِ بتدريسِ دورةٍ تمهيديَّةٍ حولَ ((تاريخ الشَّرق الأوسط)) والتي تغطي الحِقبةَ من الماضي إلى الحاضرِ. وبالطَّبعِ لا يحولُ اختيارُ قسمِ الدِّراسات العُلْيَا في معظمِ الجامعاتِ الكبرى للدَّورات

دونَ حصولِ الطُّلابِ على دوراتٍ في أقسامٍ أخرى، وغالبًا ما يكونُ عضو هيئةِ التَّدريسِ مُدْرَجًا في قوائمِ قسمٍ أو أكثرَ من الأقسامِ المهتمَّةِ بالدِّراساتِ الإسلاميَّةِ.
وبغضِّ النَّظرِ عن اختيارِ القسمِ، فإنَّ تركيزَ الدِّراساتِ العُلْيَا حولَ الإسلامِ يكونُ على الأرجحِ قائمًا على دراسةِ النُّصوصِ الدِّينيَّةِ، وفي العديدِ من جامعاتِ البحوثِ يكونُ هناك تأكيدٌ على الفتراتِ المعياريَّةِ وفترةِ القرونِ الوسْطى للفكرِ الإسلاميِّ الْمُتَدَيِّنِ. ويتَّبعُ منهاجُ ومنظورُ الدِّراساتِ حولَ الإسلامِ نفسَ المنهجِ التَّاريخيِّ النَّقديِّ للنُّصوصِ والثَّقافاتِ المميِّزِ لعصرِ ما بعدَ التَّنويرِ.
وفي حديثٍ لي بعنوان ((مساران لدراسة النص)) -وبخاصَّةٍ دراسةُ نصِّ القرآنِ-، قمتُ بالمقارنةِ بين طريقةِ المفسرين المُسْلِمين التَّقليديين أصحابِ الاتِّجاه الذي يؤمنُ أنَّ القرآنَ من عند الله، والذي دائمًا ما يربطُ آياتٍ معينةً بمواقفَ في حياةِ النَّبيِّ محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، وبين طريقةِ العلماءِ غيرِ المسلمين الذين يفترضُون أنَّ القرآنَ كلامُ البشرِ، وبينما يتحدَّثُ هؤلاءِ العلماءُ باحترامٍ عن العقائدِ الدِّينيَّةِ التي يؤمنُ بها العلماءُ المؤمنون، إلا أنَّهم هم لا يؤمنون بها، فإنَّهم يتعاملون مع القرآنِ مثلما يتعاملون مع أيِّ عملٍ أدبيٍّ، ويشعرون أنَّ لهم الحريَّةَ في أن يطبِّقوا نفسَ أساليبَ وطرقِ علومِ الأدبِ على هذا النَّصِّ كما يفعلون مع أيِّ نَصٍّ آخَرَ. وهُنا تَجدرُ الإشارةُ إلى أنَّ نفسَ هذا الانقسامِ المنهجيِّ بين الاتجاهاتِ العلمانيَّةِ وتلك الإيمانيَّةِ يَحْدُثُ حينَ يتعلَّقُ الأمرُ بدراسةِ الإنجيلِ.
وَسَائلُ أُخْرَى يَتَعَرَّف بها الأمريكيونَ والكنديونَ عن الإسلام ويندمجونَ فيه:
على الرَّغمِ من أنَّ الهدفَ من مُلاحظاتِي اليومَ يتعلَّقُ بالدِّراسةِ الأكاديميَّة للإسلامِ، فإنَّني أعتقدُ أنَّه من المهمِّ الإقرارُ بوسائلَ أخرى يَتَعَرَّفُ بها الأمريكيون في أمريكا الشَّماليَّةِ على هذا الدِّين المهمِّ، وعلى التَّقاليدِ الثَّقافيَّةِ المتعلِّقةِ به. ومن ضمنِ هذه الطُّرقِ العيشُ في بلدٍ مُسْلِمٍ. وفي الجامعاتِ حيثُ أقومُ بالتَّدريسِ قضى عددٌ ملحوظٌ من الطُّلابِ جزءًا من شبابِهم في بلدٍ مُسْلِمٍ بسبب أنَّ والدَيهم كانوا يعملون هناك واضْطُروا إلى اصطحابِهم معَهم، كما أنَّ العديدَ من الجامعاتِ والكلياتِ الأمريكيَّةِ تُتِيحُ لِطُلابِها فُرَصًا لقضاءِ فصلٍ دراسيٍّ أو عامٍ دراسيٍّ في إحدى الجامعاتِ في بلدٍ آخَرَ. وأنا على يقينٍ تامٍّ من أنَّ هناك طلابًا من الجامعاتِ الثَّلاثِ التي قمتُ بالتَّدريسِ بها يدرسون حاليًا بالقاهرةِ.
ومن المتغيراتِ المثيرةِ بهذا الشَّأنِ إنشاءُ حرمٍ دوليٍّ لجامعةٍ أمريكيَّةٍ، وكانت القاهرةُ واحدةً من المواقعِ الأولى التي شهدت مثلَ هذه المبادراتِ؛ حيثُ تَمَّ إنشاءُ الجامعةِ الأمريكيَّةِ بالقاهرةِ. وعندما كنتُ في جامعةِ (جورجتاون) عملتُ مع رؤساءَ أكبرَ منِّى قاموا بإنشاءِ فرعٍ لجامعةِ (جورجتاون) في الدَّوحة بقطرٍ. وكان هذا في الأساسِ حرمًا دوليًّا لكليةِ (جورجتاون) للخدمةِ الأجنبيَّةِ، وقد أُضيف إلى العديدِ من الجامعاتِ الأمريكيَّةِ الأخرى مثلَ ((جامعة كورنيل))، و((جامعة كارنيج ميلون))،

و((جامعة نورثوست وتكساس (A&M©©©¬ وقد رحبتْ جامعةُ (جورجتاون) بقطر بالطَّلبةِ القطريين، ومِن كُلِّ أنحاءِ العالَم أيضًا بما في ذلك طلابٌ من الولايات المتحدة. ويمكنُ للطُّلابِ من جامعةِ جورجتاون - سواءٌ أكانوا قد بدأوا دراستَهم في فرعِ الجامعةِ بواشنطن العاصمة أم في الدَّوحة- أن يقضوا وقتًا في كُلٍّ من الفَرْعَين. كما يَتَعَرَّفُ العديدُ من النَّاس -ومعظمهم من البالغين- أيضًا على الإسلامِ والعالَمِ الإسلاميِّ عن طريقِ الحصولِ على دوراتٍ مصغَّرةٍ في جامعاتٍ محليَّةٍ، أو عن طريقِ حضورِ محاضراتٍ أو دوراتٍ مصغَّرةٍ تقدِّمُها الكنائسُ والمكتباتُ والمتاحفُ ومنظماتٌ أخرى شبيهةٌ. ويكونُ الحافزُ في المعرفةِ لبعضِ هؤلاء هو العيشَ في العالَم الإسلاميِّ أو السَّفرِ إليه، وهم يعودون إلى ديارهم برغبةٍ في تعلُّمِ المزيدِ عن الإسلامِ. وبالنِّسبَةِ للبعضِ الآخَر، فإنَّ مجردَ تواتُرِ الأخبارِ يكون كافيًا كحافزٍ ليصبحوا أكثرَ علمًا واطلاعًا بهذا الشَّأنِ.

دَوْرُ الحِوَارِ بينَ الأديانِ في تعريفِ الأمريكيين والكنديين بالإسلامِ:

لقد ظللتُ لعقودٍ كاملةٍ أشتركُ في العديدِ من أشكالِ الحوارِ المسيحيِّ الإسلاميِّ، وخاصَّةً تلك الحواراتِ التي بادرتْ بها الكنيسةُ الرُّومانيَّةُ الكاثوليكيَّةُ. وفي الأعوامِ الأولى في الفترة ما بين ١٩٨٠ و١٩٩٠م كانت هيئاتُ الكنيسةِ الرَّسميَّةِ - مثل الفاتيكان- تقومُ بتنظيمِ مثلِ هذه الجهودِ، أو يتمُّ تنظيمُها عن طريقِ اتحاداتِ الأساقفةِ في كُلِّ بلدٍ. وكان المجلسُ البابويُّ للحوارِ بين الأديان هو المقرَّ الرئيسَ للفاتيكان لمثلِ هذه المبادرات. وكما يعلمُ العديدُ منكم، قام المجلسُ بتأسيسِ روابطَ راسخةٍ مع جامعةِ الأَزْهَرِ. وقد تَمَّ إحياءُ هذه الجهودِ بعنايةِ شيخِ الأزهرِ/أحمد الطَّيِّب، الذي التقى بالبابا فرنسيس في مايو ٢٠١٦م. وفي فبراير ٢٠١٧م عَقدتْ كُلٌّ مِن لجنةِ الحوارِ التَّابعةِ لمركزِ الأَزْهَرِ والمجلسِ البابويِّ ندوةً هنا في جامعةِ الأزهرِ تحتَ عنوانِ: ((مواجهةِ ظاهرةِ التَّشددِ والتَّطرفِ والعُنفِ)).

خدمتُ -بوصفي مستشارةً للمجلسِ البابويِّ للحوارِ بين الأديان- على مدى خمسِ سنواتٍ بلجنةِ العلاقاتِ الدِّينيَّةِ مع المسلمين، وكان هذا يشتملُ على رحلاتٍ سنويَّةٍ إلى روما، وكتابةِ تقاريرَ عن أنواعِ التَّعامُلِ المختلفةِ بين المسلمين والمسيحيين في الولايات المتحدة وكندا. من النَّاحيةِ الاصطلاحيَّةِ، لم تكن هذه الاجتماعاتُ في روما هي ذاتها الحوارَ، إلا أنَّها كانت تبادلًا للمعلوماتِ مِن أنحاءٍ عديدةٍ بالعالَمِ عن جهودِ الحوارِ. وكان الفاتيكانُ يقومُ من حينٍ لآخَر باستضافةِ منتدى المسلمين والكاثوليك الذي يجتمعُ فيه عددٌ كبيرٌ من المسلمين والكاثوليك ومعظمُهم قادةٌ دينيون وعلماءُ دينٍ. وأنا أتذكرُ أوَّلَ هذه اللقاءاتِ والذي كان في نوفمبر ٢٠٠٨م؛ لأنَّ نتائجَ الانتخاباتِ الرِّئاسيَّةِ في الولاياتِ المتحدةِ قد تَمَّ إعلانُها في نفسِ الوقتِ الذي بدأنا فيه اجتماعَنا في روما. وقد وجدَ العديدُ منَّا شاشةً تليفزيونيَّةً استطعنا من خلالِها مشاهدَةَ باراك أوباما وهو يقومُ بتحيةِ أنصارِه.

بعدَ أحداثِ الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م، تَمَّ توجيهُ ضربةٍ قاسمةٍ للحوارِ بين الأديانِ بالولاياتِ المتحدةِ وغيرِها من الأماكنِ. وقد حَدَثَ هذا على المستوى المحليِّ والقوميِّ والدَّوليِّ. كانت العديدُ من الجهودِ- وليس كلّها- تقومُ على أساسٍ من عقيدةٍ وإيمانٍ. وكانت الطَّوائفُ الدِّينيَّةُ المحليَّةُ ترغبُ في الوصولِ إلى بعضِها البعض لدعمِ التَّفهمِ؛ حيثُ أراد المسيحيون أن يتعرَّفوا على المسلمين الذين أرادوا بدورِهم التَّعرُّفَ عليهم.

أُطلِق على إحدى هذه المبادرات ((بناءُ الجسور))، وهي مبادرةٌ كبرى لحوارٍ عالميٍّ طرحها بعدَ أشهرٍ قليلةٍ من أحداثِ الحادي عشر من سبتمبر ((جورج كاري)) الذي كان حينها مطرانَ مقاطعةِ كانتربري، واستمرت المبادرةُ على يدِ خَلَفِهِ ((رومان ويليامز)). و((بناء الجسور)) هو لقاءٌ يُعقَدُ سَنَويًّا ليضمَّ حوالي خمسين من العلماءِ المسلمين، وعددٍ مثلِه من العلماءِ المسيحيين. ولقد اجتمعنا معًا لعدةِ أيامٍ للاشتراكِ في دراسةٍ متعمِّقةٍ لبعضِ النُّصوصِ من القرآنِ والإنجيلِ، تمَّ اختيارُها للتَّركيزِ على قضايا معينةٍ، مثلَ قضيَّةِ الموتِ والبعثِ، وقضيَّةِ التَّقليدِ والحَدَاثَةِ، والصَّلاةِ، وقضيَّةِ العلمِ والدِّينِ، وقضيَّةِ التَّأكيدِ على وحدةِ الله. وتُعقَدُ هذه الاجتماعاتُ ذاتها بالتَّناوُبِ بين دولٍ مُسْلِمَةٍ وأخرى غير مُسْلِمَةٍ، فقد عُقِدت في لندن، وسراييفو، وروما, والدَّوحة، وواشنطن العاصمة، وإسطنبول.

وبالنِّسبةِ لي، كانت هذه طريقةً علميَّةً ومُثْمِرَةً للمُضي قُدُمًا، وهي تُمَثِّلُ أيضًا الحوارَ الأكثرَ صراحةً وتفتحًا من بين كُلِّ ما شهدتُه في حياتي. ولم يكن يحضرُ جلساتِ الحوارِ إلا العلماءُ المدعُوُّون، حيث لم يكن هناك جمهورٌ ليشهدَ مناقشاتِهم وأسئلتَهم أو المجادلاتِ والاختلافاتِ التي كانت تقومُ بين الحينِ والآخَرِ.

التَّغيراتُ التي شهدتُها على مدى أكثر من أربعةِ عُقُودٍ باعتبَارِي عَالِمَة في مجالِ الدِّراسَات الإسلامية:

في خِتَامِ هذا العرضِ الصَّباحيِّ، أُحِبُّ أن أذكُرَ بإيجازٍ شديدٍ أربعةَ تَغَيُّراتٍ مُهمَّةٍ طرأتْ على دراسةِ الإسلامِ، والتي شهدتُها بوصفي عالِمَةً أمريكيَّةً وكنديَّةً في هذا المجالِ.

أولًا: وكما أوضحت من قبل، يمكنني أن أُشيرَ إلى زيادةٍ كبيرةٍ في أعدادِ المهتمين بالدِّراساتِ الإسلاميَّةِ في المرحلة الجامعيَّةِ؛ حيثُ زادت بشكلٍ مفاجئٍ نسبةُ التَّسجيلِ بالدَّوراتِ المتعلِّقةِ بالإسلامِ واللُّغَةِ العربيَّةِ. كما تضاعفت أعدادُ المناصبِ التَّعليميَّةِ في هذا المجالِ؛ حيثُ تسعى الكلياتُ والمعاهدُ إلى تلبيةِ احتياجِ الطُّلابِ.

ثانيًا: أُنوِّه إلى التَّوسُّعِ في مجالِ الدِّراساتِ الدِّينيَّةِ - خاصَّةً في مرحلةِ الدِّراساتِ العُلْيَا- من التَّركيزِ على دراساتِ النُّصوصِ إلى الأبحاثِ الأنثروبولوجية. وقد تحدَّثتُ منذُ أيَّامٍ في جامعةِ (هارفارد) في مؤتمرٍ بعنوانِ ((إدخال الإسلام في الدِّراسات الدِّينيَّةِ: المناهج، التَّاريخ، والمستقبل)). وفي هذا المؤتمرِ، تحدَّثتُ عن

التوسُّعِ في مجالِ دراساتِ القرآنِ من الدِّراسةِ النَّصيَّةِ إلى الأنثروبولوجية، وخاصَّةً في أعمالِ هؤلاءِ الذين قاموا بالدِّراسةِ الشَّفهيَّةِ للقرآنِ. وكدليلٍ على ذلك، أشرتُ إلى الدِّراساتِ الموسيقيَّةِ لتلاوةِ القرآنِ البالغِ عددُهَا (١٨٥) هُنا في مصرَ، وإلى دراساتٍ أُجريت بعد ذلك حولَ تلاوةِ القرآنِ في إندونيسيا. وبسببِ مثلِ هذه الدراساتِ، أشرتُ أنَّ دراسةَ القرآنِ قد اتَّسعت لتمتدَّ من العُيونِ إلى الآذانِ، ثُمَّ إلى الأنثروبولوجيا الوصفيَّةِ.

ثالثًا: ومِن ضمنِ التَّطوراتِ المهمَّةِ التي حدثت في العُقودِ الأخيرةِ تزايد مشاركةِ العديدِ من علماءِ المسلمين من الشَّرق الأوسط وجنوبِ أسيا وجنوبِ شرقِ أسيا في اللقاءات التي تُعقَدُ بالولاياتِ المتحدةِ؛ مثلَ تلك التي تُعقَدُ بالأكاديميَّةِ الأمريكيَّةِ لدراسةِ الدِّينِ وجمعيةِ دراساتِ الشَّرقِ الأوسطِ والجمعيةِ الدَّوليَّةِ للدِّراساتِ القرآنيَّةِ. وهذه المشاركةُ تُفْسِحُ المجالَ لمزيدٍ من الرَّوابطِ بين هؤلاء العلماءِ، ولظهورِ بحوثٍ مشتركةٍ جديدةٍ ومبادراتٍ تعليميَّةٍ. وفي تطورٍ مُتَّصِلٍ، عَقدت إحدى المنظماتِ الحديثةِ المختصَّةِ بالعلماءِ، وهي((الجمعيةُ الدَّوليَّةُ للدِّراساتِ القرآنيَّةِ)) اجتماعاتٍ في تونس وإندونيسيا، كما ستستضيفُ لقاءً آخَرَ الصَّيفِ المقبلِ بالمغربِ.

وأخيرًا.. يجبُ أن أُرَحِّبَ بانتشارِ الطُّلابِ المسلمين ببرامجِ الدِّراساتِ الإسلاميَّةِ بالولاياتِ المتحدةِ وكندا. وعلى الرَّغم من أنَّه لا يوجدُ لَدَيَّ إحصائياتٌ حالية، يمكنني التقديرُ المبدئيُّ بأنَّ الطُّلابَ من أصولٍ مُسْلِمَةٍ هم الآن أغلبيةُ مَنْ يلتحقون ببرامجِ الدُّكتوراه في الدِّراساتِ الإسلاميَّةِ بجامعاتٍ؛ مثلَ: ييل، وبرينستون، وكاليفورنيا وغيرها. هؤلاءِ هم أبناءُ وأحفادُ أُسَرٍ جاءت إلى الولاياتِ المتحدةِ وكندا بعدَ تَغَيُّرِ قوانينِ الهجرةِ في ستينياتِ القرنِ العشرين. وقد نشأوا في أمريكا الشَّماليَّةِ، وتعلَّموا في جامعاتِها وكلياتِها. وأنا أتنبأ بأنَّ هؤلاءِ الشَّبابِ الذين سيصبحون حملةَ الدُّكتوراه -ومنهم العديد من الإناث- سيؤدون دورًا مُهِمًّا في عالَمِ المفكرين المسلمين في العُقودِ القادمةِ.